

قراءة سيكولوجية العنف ... تجاوزا لانجرافات الذات العربية

د. جمال التركي - الطب النفسي / تونس

ببريد إلكتروني : turky.jamel@gnet.tn

مقتطف : شيء من تاريخ عنف إنساننا...

من الماضي البعيد ... كان "السفاح" هو أول خلفاء بني العباس، بويع في الكوفة عام 132 هـ، وقف خطيباً يقول للناس: "استعدوا، فأنا السفاح المبيح والنائب المبير" (1). ويروي لنا السيوطي كيف استولى على الحكم "باليعة أيضاً" قتل في مبايعة السفاح من بني أمية وجندهم ما لا يحصى من الخلائق، فنوطدت له الممالك إلى أقصى المغرب! .. لقد أس باغتيال جمع كبار بني أمية المسلمين، ثم لا يحفل أن يجلس على البساط الذي لهرمه، فيثاويل طعامه فوقهم وهم يتقبلون في جراحاتهم، وينون بالأمهر، ويسجون بدمائهم وما زال قائماً لا يهرك عنهم حتى فاضت فوسهم إلى بارفها شاكية ظلم الإنسان وجبروته (2). لقد استهل الوجل حكمه بإخراج جنث خلفاء بني أمية من قوبرهم وجلدهم وحرق جثتهم، وش مرادهم في الریح! . ولم يكن ذلك في بداية عهد بالحكم فصب، وإنما كانت سياسته التي سار عليها، كان السفاح سر بها إلى سفك الدماء، فاتبعه في ذلك عماله بالمشرق والمغرب! (3)، ومع ذلك كان الوجل شديد اللذين وكان قش خانم، "الله، قته عبد الله، وبه يؤمن" (4). وما أتى أبو العباس برأس مروان ووضعها بين يديه سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه، فقال: "الحمد لله الذي لم يبق ثأري قبلك، وقبل رهطك، الحمد لله الذي أظفرتني بك، وأظهرني عليك" (5).

(1) "البداية و النهاية" ج 10 ص 42 - (2) "الكامل في التاريخ" لابن الأثير، الجزء الثالث ص 501-502، دار إحياء التراث بيروت - (3) "تاريخ الخلفاء" ص 257 - (4) د. حسن إبراهيم، "تاريخ الإسلام"، الجزء الثاني ص 25 - (5) "مروج الذهب" للمسعودي، الجزء الثالث ص 271.

من الماضي القريب و حاضرنا ... "تبقى الذاكرة خيس شاهد عن عنف ما وصلنا ... و ما خفي يبقى الله شهيدنا عليه.

و نحن نسعد لإتقال هذا العلد بلغنا نبأ الزلزال الذي هز المحيط الهندي وغمرت أمواجه العاتية جزر جنوب شرقي آسيا، حصلت كارثة من أكبر كوارث إنسان العصر الحديث، قست الطبيعة فسوت بالأرض جزر و قرى أصبحت خاوية، ضرت بأموال كالجبال فأهلكت الحرت و لا عاصم إلا من رحمة قصب اليور كما ضرت بالأمس البعيد أقواما أخرى.

و في خضر قرامتنا لسيكولوجية عنف الإنسان فاجأنا عنف الطبيعة بكل قسوتها ... و نحن نبحت في الدوافع الواعية و المظمومة لتعكيك "عنف الإنسان" تأتي كارثة جزر آسيا للذكرنا أن قدر الإنسان أن يصارع عنف أخيه و عنف الطبيعة، إنه إن سلم عنف الإنسان قست عليه الطبيعة و إن سلم الكوارث قسى عليه، مأساة الإنسان أن يعيش صراع العنف منذ لحظة ولادته إلى مماته، و قدرنا كأخصائيي الصحة النفسية أن نساهم (بما يسمح به علمنا) في الحد من عنف الإنسان، أما عنف الطبيعة فهو شأن اختصاصات أخرى. إن تضافر جهود الجميع هو السيل الأحدث للندني "العنف" المسلط على الإنسان، إنه لم يعد مقبولاً في عصرنا أن يهكم سيكوباتي معتل في قدر إنسان أكبره الله بالحياة ... إن الإنسان الذي سلبت حرته و اختياره سلبت آدميته، و من تحول إرادة الإنسان إلى عدمه رأس كرامته، و عنف من تحقيق ذاته و كينونته، إن الإنسان العربي المنجرح في مراهته و مستقبله، تأس عن عديد الإاضرابات النفسية انطلاقاً من العصاب إلى العقال من مر بالكار و السلاك و القاف، و يبقى الأمل في سعينا نحو تحقيق لياقة نفسية، أن أوهاها تجاوزا لانجرافات أضدننا ...

مجلة الشبكة الإلكترونية ... شعبة أولى

هذا العلد (الرابع) تكتمل السنة الأولى من المجلة، كانت البداية مشحونة بعديد الهواجس، كنا نحشى أن خيب تطلعات الأطباء و أساتذة علم النفس. كانت خشيتنا كبيرة بعد الانطلاقة الموفقة لبوابة الشبكة على الويب (بشهادة أساتذة و أطباء لم يعرف عنهم محاملة على حساب العلم) ألا تكون المجلة في المستوى الأكاديمي المعترف به و في مستوى المجالات العلمية المحكمة، كما نذكر طبيعة التحديات و تعلم أنها التجربة العربية الأولى في مجال الإصدار الإلكتروني على مستوى الاختصاص، كنا منبهين خشية أن همنش لسبب أو لآخر، و بقدر خشيتنا كانت طموحاتنا، كان التحدي كبير الخوض التجربة، عز منا الأمر و توكلنا على الله. أرادناها أن تكون أكاديمية، ثلاثية اللغة، ذو مستوى علمي مراق، كانت الإمكانيات محدودة و فريق العمل صغير، كانت المعوقات أكثر من أن تحصى و كانت عزيمتنا أكبر و أصدرنا المجلة، و جاء كل علد أفضل من سابقه ... و كانت الردود ملفتة و مشجعة، كانت في تكاثر على أن كل علد و تالي وصول الأبحاث و المقالات بكثافة تتجاوز قدرة المجلة لشرها، كان لزاماً أن نعتذر عن نش بعضها، كما في حرج من الاعتذار و نحن في بداية المسيرة و كان المخرج أن نر "إقرار العمل حسب مبدأ المحاورة" و نر قبول جمع الأبحاث مبدئياً على أن يبقى

موعد نشرها مرهين المحرر الذي يتدرج في إطاره هذا البحث أو ذاك.

وكان المحور الرئيسي لهذا العدد "الشخصية العربية... قراءة سيكولوجية العنف" حافلا بعديد الأبحاث والمقالات الأصلية لعنفة من أبرز وجوه الاختصاص في الوطن العربي. إنها بداية واعدة ضمنها خطوة هامة في مسيرة تطور العلوم النفسية في الوطن العربي. إنا ونحن نضع بين أيديكم هذا العدد للدراسة والتقييم سعدنا تلقي انطباعاتكم وقد ذكر قطوراً به نحو الأفضل.

في هذا العدد...

جاء المحور الرئيسي لهذا العدد حول "قراءة سيكولوجية العنف... عنف انساننا"، موشحا بإمضاء عنفة من أبرز أهل الاختصاص في أوطاننا بدءاً بالاعتراف مخفوق المريض النفسي والتي يعتبرها أحد عكاشة (مصر) جزءاً لا يتجزأ من حقوق الإنسان، ليقدم لنا بعد ذلك قاسر صالح (العراق) قراءة سيكولوجية للأسباب التراكمية والمخملنة عن العنف في المجتمع العراقي ساعياً أمام مشهد العنف العراقي القديم/الحديث الإيجابية عن تساؤل هل أن العراقيين عدوانيين بطبيعتهم أم هل توجد مظاهر الوراثية جينات من العنف والعدوان أكثر من آخرين ينتمون إلى شعوب أخرى. كما يعرض كل من بشير معمرية وإبراهيم ماحي (الجزائر) دراسة أكاديمية مميزة عن أبعاد السلوك العدواني وعلاقتها بأزمة الهوية من خلال دراسة أجريت على عينته من شباب الجامعة، أما محيي الخاوي (مصر) فيطرح من خلال "صراعات الآن و جلد الآتي" عديد النساء حول طبيعة الصراعات التي تعيشها الإنسانية اليوم، هل مازال تاريخ الحياة سلسلة من الصراعات المتتالية، والمتصلة أو المتناوبة؟ هل يستمر الصراع كما هو مما هو؟ ليؤكد لنا قلبري حفي (مصر) في عنفة أن "الوعي بالمشكلة... خطوة أولى نحو الحل" وأن حل المشكلات التي تبدأ نذرها خفيفة في البداية ثم تأخذ في التراكم والتضخم والظهور لا يمكن أن تأتي بمجهود فردي مباشر بل لابد أن يكون ذلك الجهد جماعياً معطلاً إلى جانب الصدي لتوى ومؤسسات عاتية تسقيده من استمرار المشاكل، ثم يقدم لنا محمد أحمد نابلسي (لبنان) دراسة ميدانية أصيلة وفريدة من نوعها عن الجمهور العربي وأثر الصلدة النفسية عليه، من خلال دراسة الآثار النفسية الآتية، القوية والبعيدة الأمد لصلدة السيارة المفضلة ليخلص إلى عرض مفصل لـ "تأخر السيارة المفضلة" ذلك أن أي من الصفات الطبيعية الحديثة لا يفي بالغرض لدى تطبيقه على اللبنانيين والعرب المعانين من الآثار النفسية للعرب وللانفجارات. ثم نفتح المجال لإقبال الغربي (تونس) لمقاربة نفس تحليلية لمفهوم "فدية إبراهيم" من خلال دراسة موقف العلماء من سيرة إبراهيم عليه السلام حسب مروياته في الأديان الثلاث: اليهودية، المسيحية والإسلام، كما يشترك هذا العدد من كندا وجدي لوزا يبحث نأحر عن توقع تكرار العنف عند المسجونين وما لأهمية تحديد المؤشرات الخطية المؤدية لانكسار العنف جنباً للمجتمع من جرائم مستقبلية مخملنة، ومن لبنان عدنان حب الله في قراءة نفس تحليلية لـ "طيف صدام واحتمالات الوحدة والتكك" مؤكداً أن زوال صدام حرر الناس ولكنه لم يحررهم من الكراهية التي غذهاها ونهاها طوال عهده، أما محمد ضو يقدم لنا من سوريا دراسة ميدانية عن العنف ضد المرأة يستقطب الأفتعة عن هذا الموضوع/النابور من خلال أرقاماً خالته، ليخلص إلى توصيات هامة لمكافحة هذه الظاهرة المهيمنة للمرأة العربية.

في ختام هذا الملف عن سيكولوجية العنف نعرض لعديد المداخلات الموجزة "المنسلط... المستبد... شخصية مرضية"، "العنف... الجريمة... خوف سيكولوجي"، "مدخل نفسية لبيد ثقافة العنف"، "هوس السلطة... مروية في سيكولوجية الاستبداد"، "مسألة العنف في المجتمع المصري... تساؤلات"، "العنف الجنسي... مقاربتة، أثر وبه نفسية"، "في سيكولوجية العنف والعدوان" لكل من سامر جميل رضوان (سوريا)، محمد أحمد نابلسي (لبنان)، إقبال الغربي (تونس)، علي تركي نافل (العراق)، لطفي الشربيني (مصر)، فارس كمال ظلمي (العراق) وقاسر حسين صالح (العراق).

انتقالاً إلى بقية الأبواب، نعرض في باب جمعيات نفسية لجمعية التعليل النفسي المغربية، وفي باب مؤتمرات لبرنامج الملتقى المغاربي الأول للتعليل النفسي، وبرنامج الملتقى الفرنسيكوني الرابع للأطباء النفسيين إضافة إلى أجنده المؤتمرات النفسية للتلائية الأولى من سنة 2005 ليأتي باب مراجعة كتب وأطروحات موشحا بملخص كتاب الزين عمارة (الإمارات/السودان) "مرحلي مع الطب النفسي" وملخص أطروحة من إشراف عدنان فوج (الأردن) حول أثر من مركز الضبط في مستوى الأكتئاب لدى مرضى السرطان، وفي باب مراجعة مجلات نعرض لملخصات العدد 59 (نوفمبر 2004) من "الثقافة النفسية المخصصة (لبنان) الذي جاء محوراً الرئيسي حول "التراث النفسي العربي".

كما نعرض في نهاية العدد في باب جوائز نفسية لجائزة مصطفى زيور للعلوم النفسية (المركز العربي للدراسات النفسية) وفي باب منتدى الحوارات المداخلات المحور الثالث للمنتدى حول "الوظيفة الجنسية من السواء إلى الاضطراب" وفي باب الكتاب الذهبي للشبكة لانطباعات أساتذة علم النفس أما في باب مستجدات الطب النفسي فنعرض لملخصات أهر الأبحاث الطب نفسية العالمية الصادرة في التلائية الأخيرة لسنة 2004، وفي آخر أبواب المجلة "مصطلحات نفسية" نعرض لترجمة مجموعة من المصطلحات من الحرف الأول من اللغات الثلاث العربية، الفرنسية، الإنكليزية.

إلى أن تلقى... إضحى مبارك